بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

لا يزال الناسُ يذكرون ، ولا تزال ألسنتُهم تُرَدِّدُ ، الأثرَ السَّيِّئَ لاقتراح صاحب المعالي عبد العزيز فهمي باشا كتابةَ العربية بما يسميه « الحروف اللاتينية » ، ولا يزال ينكرون عليه اقتراحَه ، إلاّ مَن شذَّ عن خطأٍ أو عن عمدٍ ، وهم شيءٌ قليل نادر .

ولم يكتفِ صاحبُ الاقتراح بما اقترحَ . بل راح يردُّ على معارضيه في كتابٍ خرج في بعض مسائله إلى الإزراء بالتشريع الإسلاميّ والسخرية منه ، وممن يدعو إلى العمل به في هذه العصور في بلاد الإسلام .

وقد وَجَدَتِ الأُممُ العربيةُ في هذه السنين العِجَاف ، سني الحرب العالمية التي بدأت في سنة ١٩٣٩ ولمّا تَضَعْ أوزارَها ، أنها لا ينجيها من عواقبها ، ولا يحفظُ عليها وجودَها ، إلاَّ أن تجمعها جامعة قوية تَثْبُتُ على الدهر ، هي « جامعة الأمم العربيـة » وقد وُضـع أساسُها وثُبِّتَتْ قواعدُها في هـذا العام ، وسيقوم بنيانها وتعلو أركانُها فيما تَستقبلُ من الأيام ، إن شاء الله .

والتاريخُ ، منذ أكثرَ من ألفٍ وثلاثمائة سنة ، منذُ أن أشرق نورُ الإسلام ، يربطُ الإسلام بلغة العرب أوثق رباطٍ . فلا يستطيعُ أحدٌ أن يتخيلَ أمةً مسلمة غيرَ عربية ، ولا أن يتخيلَ لغةَ العرب منفصلةً عن الإسلام وكان ذلك من صُنْعِ اللهِ بالقرآن ، فهو أوثقُ سببٍ يَصِلُ الإسلامُ بالعروبة ، لا تنفصم عُراهُ . فلا تكون أُمةٌ عربيةً ولا أُمةٌ مسلمةً إلاّ بهذا القرآن . والمُثُلُ متوافرةٌ فيمن مضَىٰ وفيمن بقي .

وسيكونُ من أثَرِ اتحاد الأمم العربية اتحادُ الأمم الإسلامية ، حتما

مقضياً . وإن أبَى مَن أبَى ، وإن كره مَن كره ، فذلك الذي تقتضيه فطرة الدين ، وفطرة اللغة ، ووحدةُ الروح ووحدة التفكير . (وإن هذه أمتُكم أمةً واحدةً) .

وهذه أُمم العربية تسعى أن توحِّدَ طرقَ ثقافتها ومناهجَ تعليمها ، حتى لا تكون بينها فوارق إلاّ في الجزئيات التي تقتضيها طبيعة الفرق بين إقليم وإقليم ، وجوٍّ وجوٍّ ، واستعدادٍ واستعدادٍ . حتى يأتيَ الجيلُ القادمُ نَسَقاً واحداً ، وأمةً واحدةً .

وهذه الأُمم نفسها تفكر أو تسعى في وحدة التشريع أيضاً ، على هذا النهج ، ولكنها تخطئُ الطريق ، تريد أن تَبني على ما اقتبسنا من تشريع الإفرنج ، وقد نُهينا عنه . وعندنا تشريعٌ كامل ، أُمرنا أن نتبعه ، وأن نرضى به وحده ، مؤمنين مخلصين . وهو تشريعٌ دقيق ، صالح في كل زمان وكل مكان . فلئن كان هذا ، ولن يكون ، فقَدَتْ هذه الأُممُ أقوى مقوماتها ، وهو روح التشريع الواحد المخالط للقلوب ، وهو هَدْيُ القرآن .

وطالما دعونا للهُدَىٰ غيرَ وَانِينَ ولا غافلين ، وكنتُ أحدَ

الدّاعين ، على ما وسعَ جُهدي . فلما أنْ ثار عبد العزيز باشا فهمي باللغة وبالتشريع ، يزجرهما زجراً عنيفاً ، غير عالمٍ أنهما لن يَزُولاَ حتى تزولَ الجبال : وجدتُ الفرصةَ سانحةً لأن أستأنف دعوتي ، فأَرُدَّ عملَ معالي الباشا إلى مصادره و بواعثه ، أو إلى نتائجه وعواقبه ، وأُعيدَ نشرمحاضرةٍ كنتُ قد أعددتُها منذ بضع سنين ، في أنَّ « الكتابَ والسنة يجب أن يكونا مصدرَ القوانين في مصر » . لأَبثَّ دعوتي ، في سبيل الله ، وفي سبيل الخير لأمتي .

فهذا هو الكتاب .

وكنت قد وضعتُ في المحاضرة خطَّة عملية لاقتباس القوانين من الشريعة ، أجملتها إجمالاً ، رجاء أن تُفَصَّل عند وضعها موضعَ التنفيذ . فرأيتُ أن أفصِّلها بعضَ التفصيل ، في آخر الكتاب ، حتى لا يكونَ لمعتذرٍ عذر ، بعدَ أن وَضَحَتِ الطريقُ واستنارتِ السبيلُ .

فلعلَّ اللهَ أن يوفق بعضَ قادة الفكر إلى الجدّ في هذه السبيل ، ودرسِ هذه الخطة ، وتنقيحها بما يستبينُ من البحث وتبادلِ

الآراء ، ثم وضعِها موضعَ التنفيذ ، فالفرصةُ مواتية ، والتواني مضيعة . ورسولُ الله يقولُ ما أمره الله أن يقولَ : (وأُوحِيَ إليّ هذا القرآنُ لأُنْذِرَكم به ومَن بَلَغَ) وقد بَلَّغكم وأَنذركم .

هدانا الله بهدايته ؟

أحمد محمد شاكر

الأحد ٢٥ ذي الحجة سنة ١٣٦٣
١٢ نوفمبر سنة ١٩٤٤

الكتاب والسنة

يجب أن يكونا مصدر القوانين في مصر

أيها السادة !

تشرفت اليوم بالمثول بين أيديكم لأتحدثَ إليكم في موضوعٍ مِن أشدِّ المواضيع خطورةً في حياتنا الماضية والمستقبلة ، والكتابُ — كما يقولون — يُعرف من عنوانه . وعنوانُ كلمتي محدودٌ مُحرَّر ، صريحٌ بيّنٌ (الكتابُ والسنة يجب أن يكونا مصدرَ القوانين في مصر) .

نعم ، ومصرُ بلدٌ إسلاميٌّ ، وهي تقعد الآنَ بين الأمم مقعدَ الصدارة في ممالك الإسلام ، وإلى ما تصنع ينظر المسلمون في أنحاء الأرض ، وبها يقتدون ، فيهتدون أو يَضِلُّون ، ومَعاذَ الله أن تَضِلَّ مصرُ بعد أن مَلكتْ أمرَها ، واستقلَّت بشؤونها ، فتحملَ إثم العالمَ الإسلاميّ كلِّه ، ورسولُ الله يقول : « مَن

سَنَّ في الإسلام سنَّةً سيئة كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَنْ عَملَ بها مِن بعدِه ، مِن غير أن يَنْقُص من أوزارهم شيء » .

أيها السادة !

إن الله أرسل محمداً هادياً وبشيراً ونذيراً ، وحاكماً بين الناس بما أنزله عليه . أرسله بالهُدَى ودين الحق ليظهرَه على الدين كلِّه ، ودَعَا الناسَ إلى طاعته في جميع أمورهم ، في دينهم ودنياهم ، عباداتِهم ومعاملتهم . وأنزل عليه شريعةً كاملةً ، لم تَسْمُ إليها شريعةٌ من الشرائع قبلها ، ولن يأتي أحدٌ من بعده بخيرٍ منها ولا بمثلها . ذلك بأنَّ الله خلق الخلقَ وهو أعلمُ بهم ، وذلك بأن محمداً خاتَمُ النبيين .

شرعَ اللهُ هذه الشريعةَ الكاملةَ للناس كافة ، وفي كل زمان ومكان ، بعموم بعثة الرسول الأمين ، وبختم النبوة والرسالة به . فكانت الباقيةَ على الدهر ، ونَسَخَتْ جميعَ الشرائع . ولم تكن خاصةً بأمةٍ دون أمةٍ ، ولا بعصرٍ دونَ عصرٍ . ولذلك كانت العباداتُ مفصَّلةً بجزئيّاتها ، لأن العبادة لا تتغيرُ باختلاف الدهور والعصور . وكان ما سواها من